**2- الاصطلاح أو المواضعة:**

يظهر من نصّ ابن جنّي الذي تقدّم ذكره أنّ أصحاب القول بـهذا الـمذهب أكثر مـن القائلين بالتَّوقيف، فقد ذكر **"**أنّ أكثر أهل النّظر علــى أنّ أصل اللّغة إنَّما هو تواضع واصطلاح، لا وحي وتوقيف**"،** فاللّغة على هذا الـمذهب نشأت مواضعة واتّفاقًا بين بني البشر، أي إنّ ارتـجال الألفاظ كان أساسًا في بناء اللّغة ونشأتـها، قال ابن جنّي : "ذهبوا إلى أنّ أصل اللّغة لا بدّ فيه من الـمواضعة، قالوا: وذلك كَأَن يـجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدًا، فيحتاجوا إلـــى الإبانة عن الأشياء الـمعلومات، فيضعوا لكلّ واحد منها سِـمَةً ولفظًا، إذا ذُكِر عُرِف به مُسَمَّاه؛ ليمتاز من غيره، وليُغْني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين ... فكأنّـهم جاؤوا إلى واحد من بني آدم، فأومؤوا إليه، وقالوا : إنسان إنسان إنسان، فأيّ وقت سُـمِع هذا اللّفظ عُلِم أنَّ الـمراد بـــه هذا الضَّرب من الـمخلوق، وإنْ أرادوا سِـمَة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك، فقالوا: يد ، عين، رأس، قدم، أو نـحو ذلك. فمتى سُـمِعت اللَّفظة من هذا عُرِف معنِيها، وهَلُمّ جرًّا في ما سوى هذا من الأسماء، والأفعال، والـحروف...**".** وكان أبو عليّ الفارسيّ -المتوفّى سنة377للهجرة- من الآخذين بـهذا الـمذهب؛ ليجمع بين التَّوقيف والاصطلاح، ويكون بـهذا قد جـمع بين النَّقل والعقل. ويبدو أنّ ابن جنّي من القائلين بالـمواضعة والاصطلاح أيضًا، فهو ينقل ردّ أصحاب مذهب الاصطلاح لـمذهب التّوقيف حين **"**قالوا: والقديـم سبحانه لا يجوز أنْ يُوصف بأنْ يواضع أحدًا من عباده علـــى شيء؛ إذ قد ثبت أنّ الـمواضعة لا بدّ معها من إيـماء وإشارة بالـجارحة نحو الـمومأ إليه والـمشار نـحوه، والقديـم سبحانه لا جارحة له فيصحّ الإيـماء والإشارة بـها منه، فبطل عندهم أنْ تصحّ الـمواضعة على اللّغة منه -تقدّست أسماؤه-**".**

ولعلّ استحواذ الفكرة الدِّينيّة على ابن جنّي جعله أكثر ميلًا إلى الرَّأي القائل بالتّوقيف إذ صرّح بأنّه قَوُيَ في نفسه اعتقاد كونـها توقيفًا من الله.

ومـمّا وُجِّه لـهذا الـمذهب من نقد أنّ التّواضع على التَّسمية يتوقّف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بـها الـمتواضعون. فكيف نشأت هذه اللّغة الصّوتيّة؟ أي إنّ ما يـجعله أصحاب هذا الـمذهب منشأ اللّغة، يتوقّف هو نفسه على وجودها من قبل.

**3- محاكاة أصوات الطبيعة :**

يرى أصحاب هذا الـمذهب أنّ النَّشأة الأولى للألفاظ لا تعدو تقليد الأصوات التي في الطّبيعة كمواء القط، ونُباح الكلب، وحفيف الشَّجر، وحنين الرَّعد...أي إنّ أصوات الكلمة عند الإنسان القديـم كانت نتيجة تقليد مباشر لِـما حوله في الطّبيعة.

وكان اللّغويون العرب القدامى قد تنبّهوا على طائفة من الألفاظ التي سـميّت بأسـماء مأخوذة من أصواتـها نفسها، قال الـخليل -المتوفّى سنة175للهجرة-: "الصَّوْقَرير: حكاية صوت طائر يُصَوْقِرُ فــــــي صياحه، تسمع نـحو هذه النَّغمة في صوته" ، وقال ابن جنّي -المتوفّى سنة392للهجرة-: **"**وسـمّوا الغراب غاقِ؛ حكاية لصوته، والبَطَّ بَطًّا؛ حكايةً لأصواتـها".

وقد لـخّص ابن جنّي مذهب مـحاكاة أصوات الطّبيعة بقوله: "وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللّغات كلّها إنّـما هو من الأصوات الـمسموعات، كدويِّ الرِّيح، وحنين الرَّعد ، وخرير الـماء، وشَحِيج الـحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونَزيب الظّبي[[1]](#footnote-1)، ونـحو ذلك"، ولـم يستبعد ابن جنّي هذا الـمذهب، بل رآه مقبولًا فقال معلقًا عليه: "وهذا عنـدي وجه صالـح ومذهبٌ مُتَقَبَّل"، وهذا هو الرّأي الثّالث له في نشأة اللّغة.

وسـميّت هذه النّظرية عند غير العرب باسم نظرية (البو-ووBow waw )، أي: مـحاكاة أصوات الطّبيعة، فقد بادر بعض العلماء إلى وضع هذه النّظريّة بعد ورود كلمات يدلّ لفظها على معناها كالرّنين، والغُنّة، والزّقزقة، والقهقهة، والـحفيف، والـخرير، والـخَشْخَشَة، والطَّقْطَقَة...

وهناك أمثلة تعضد صدق هذه النّظريّة، منها لفظ (cuckoo)، وهو اسم طائر سُـمّي بالصّوت الذي يُـحْدِثه.

وتبين نظريّة الـمحاكاة تأثّر الإنسان بالبيئة التي تـحيط به، فهو يستمدّ ألفاظه التي شرع ينطق بـها لأوّل مرّة مـمّا حوله فتراه مقلّدًا ومـحاكيًا.

ويرى الطّاعنون في هذه النّظريّة أنّـها تقف بالفكر الإنسانيّ عند حدود حظائر الـحيوانات، وتـجعل اللّغة الإنسانيّة الرّاقية مقصورة النّشأة على تلك الأصوات الصّادرة عن الطّبيعة.

ويرى الطّاعنون في هذه النّظرية أيضًا أنّ الكلمات التي يـمكن أنْ تُفَسَّر على (البو-ووBow waw ) قليلة جدًّا، فضلًا عن وجود آلاف الكلمات التي ليس هناك علاقة بين معناها وصوتـها.

ويـجيب أصحاب (البو-ووBow waw ) عن هذا الاعتراض الأخير بأنَّه من الـممكن أنّ تكون النَّشأة الأولى للّغة بـمحاكاة أصوات الطّبيعة، ثـمّ تغيّرت الدّلالات بعد ذلك بـحكم التّطور اللّغويّ عبر العصور والأجيال حتّى انتهت إلى دلالات أخرى حسيّة أو معنوية ذات وشيجة بالدّلالة الأولى أو مبتعدة عنها.

1. النّزيب**:** صوت تيس الظّباء عند السِّفاد. [↑](#footnote-ref-1)